كلام مليان فى الفضاء !

أنيس منصور

مع عالم الفضاء المصرى . فاروق الباز تحس أنك تجلس مع أحد الحشاشين الذين ما تزال عندهم ندرة عجيبة على التفكير المنطق وذكر الأرقام وموضع كل شىء على سطح القمر والمريخ .

فقديما كان الناس يرون أن القيامة سوف تقوم ولن تقعد إذا طار الحديد . وطار الحديد ودار حول الأرض وحول القمر . ونزل فوق القمر وعاد من القمر ، ونزل على المريخ وما يزال يعمل ، ولم نتمكن من استعادته بعد . .

أما الاختراع الجديد فهو سفن مصنوعة من الطين الذى يتحمل درجات الحرارة التى تصل إلى ٥٠٠٠ مئوية فيتأكل ثم نعيده إلى الارض ليمكن استخدامه مرة أخرى . فالتجربة الجديدة هى إطلاق « الملوك الفضائى » أو « المتنقل الفضائى » كما يسميه فاروق الباز وهذا « المتنقل الفضائى » سوف يضعونه على ظهر طائرة نفاثة ترتفع به إلى أعلى . . ثم ينطلق من فوقها ليدور حول الأرض يومين أو ثلاثة ثم يعيدونه إلى الأرض ليستخدموه مرة أخرى . .

وسوف يكون د. فاروق الباز هو أول عالم عربى يركب هذا المتنقل الفضائى سنة ١٩٨٢ وهو ليس فى حاجة إلى أن يقوم بالتجارب العنيفة التى يجرونها على زواد الفضاء الآخرين من وضعه تحت ضغوط عالية وإلقائه فى الماء البارد والساخن . . وتركه عاريا تماما تحت أشعة الشمس وفى مواجهة أجهزة التكييف ليصبح قويا على مواجهة كل الظروف الطارئة فى سفن الفضاء ، لأن السفينة الجديدة ، سوف تكون مريحة كالطائرة تماما . . وكل ما سوف يفعله هو ربط حزام المقعد والامتناع عن التدخين !

أما المعلومات التى تتلقاها سفن الفضاء عن العالم الخارجى فهى دقيقة جدا . ولكن تفسيرها ما يزال شيئا صعبا . مثلا ذلك الصندوق الذى لا يزيد حجمه عن حجم علب الأحذية وثمنه خمسون مليونا من الدولارات ويضم ما يعادل جميع معامل البحث العلمى فى مصر ، فهو يرسل المعلومات الكثيرة وطول الوقت . ولكن كل هذه المعلومات مشكلة : فليس لها أى تفسير علمى واضح . وقد اختلف فيها العلماء تماما . بل إن بعض المعلومات هكذا : التراب يرتفع بلا سبب ويظل عالقا فى الهواء بلا سبب . . الجليد درجة حرارته مائة مئوية . . كيف يكون جليدا يغلى . . الشمس إذا طلعت انخفضت درجة حرارة الأحجار وذابت المعادن العالقة بها . . الرياح تهب بصورة متقطعة . . وفى كل مرة تهب الرياح تكون على شكل موجات : واحدة باردة جدا والموجة الثانية حارة جدا . . هناك ظلال كثيفة رغم عدم وجود أية سحب . . ورغم عدم وجود أية كائنات أخرى . . السماء لونها بنفسجى . . ثم يتغير اللون البنفسجى فجأة فيصبح أحمر دمويا رغم أن الشمس ما تزال فى موضعها من المريخ . .

● إن الجلوس مع د. فاروق الباز متعة . ولكن هذه المتعة سرعان ما تنسى . بكى أن يضحك بطريقته البريئة هذه ليدرك أنك أمام طفل كبير يتحدث عن أحدث لعبة اخترعها الأطفال الكبار لألوف الملايين من الأطفال الصغار !

ومعنى ذلك : أننا لا نجد معنى واحدا لكل هذا الذى يحدث على المريخ . .

ومعنى ذلك : أن هناك قوانين أخرى لا نعرفها . لأن ما لدينا من قوانين قد استخرجناها من مشاهدة ما يجرى على الأرض . . ولكن أرضنا تختلف عن المريخ . ولذلك فعلومنا ونظرياتنا ليس لها أى معنى هناك . . ولا بد أن النظريات أو القواعد التى تسير عليها الطبيعة الجامدة والطبيعة الحية فى المريخ تختلف أشد الاختلاف عنا . .

أو بعبارة أخرى نحن أمام كوكب يتكلم لغة أخرى لا نعرفها ولا نفهمها . . تماما كما تجلس أنت مع إنسان صينى . لا أنت تعرف لغته ، ولا هو يعرف لغتك . . وإن كنت إنسانا مثله تماما !

والعلماء الأمريكان فى دوخة وفى حيرة لا أول لها ولا آخر . . أو . . لها أول فى المريخ ولها آخر على الأرض .

وأحدث ما استراح إليه العلماء هو : أننا أمام لغز . وأننا كنا مستريحين قبل أن نرسل هذه العواصل الفضائية إلى المريخ . . فلا بد أن هناك نوعا عجيبا من الحياة يختلف عن الحياة على الأرض . ونوعا من الكائنات لا يشبه الكائنات الأرضية . وهذا طبيعى . فكل بيئة تخرج كائنات أخرى تعيش معها ونعيش عليها . . تماما كما أن الأسماك تعيش فى الماء ، والطيور تعيش على الأرض وفى الهواء . . فكذلك هناك أنواع من الحياة نجهلها تماما . تعيش على كوكب المريخ ، ولا نعرفها . ولا ندرى كيف نعرفها . .

أو بعبارة أبسط نقول : إن جدول الضرب عندما يقول ٣ × ٣ = ٩ وفى المريخ يقول ٣ × ٣ = ٧ أو لا توجد معادلة اسمها ٣ × ٣ = ٠٠٠ وإنما توجد مثلا ٣ = ٧ = ٣ × ٧ = ٣ . . شىء غريب عجيب !

■■ سؤال للدكتور فاروق الباز والإجابة والمعلومات التالية كلها من عنده هو . . وعلى مسئوليتنا نحن الاثنين :

إذن هناك ما يبرر الكلام عن الأطباق الطائرة التى تجىء من كواكب أخرى . . أو من حضارات أخرى . .

لماذا تجىء ؟ لا نعرف .

ما هى ؟ لا نعرف . .

هل هى أسلحة سرية يطلقها الأمريكان على الروس ، والروس على الأمريكان ؟ لا نعرف . .

إن الدرس الضخم الفخم الذى سجل فيه رواد السفن أبولو ٩ وجيمنى ٧ ، وأبولو ١٦ وأبولو ١٧ وأبولو ـ سيوز ، إذا نشر فسوف يقول الناس إن الأمريكان جماعة من الحشاشين وإن علماء الفضاء جماعة من الماطيل . . وإن هذه الرحلات من أولها لآخرها ليست

إلا تخريفا لا علاقة له بالعلم.. وإن هناك مؤامرة مجنونة شاركت فيها الصحف الأمريكية ومحطات التليفزيون والمتابعة الأرضية..

فقد رأى رواد الفضاء أشياء غريبة فى الفضاء الخارجى. وحار العلماء فى تفسيرها..

فأحد الرواد اتصل بالمحطات الأرضية يطلب إليهم أن يرصدوا هذا الجسم الأسطوانى الذى يقترب من سفينته.

فطلبوا إليه أن يصفه بدقة فقال: أسطوانة ناعمة طويلة.. ملاصقة للسفينة لونها رمادى لامع.. ليس لها نوافذ.. أحيانا أجدها أمامى.. وأحيانا تحتى.. وأحيانا فوق.. وكلما اقتربت أحدثت ارتباكا فى الأجهزة..

وترد عليه محطات المتابعة الأرضية: إننا لا نستطيع أن نسجل ذلك. حاول أن تصورها..

ولا يكاد يمسك الكاميرا لتصويرها حتى تكون قد اختفت..

وتحاول المحطات الأرضية متابعتها أو رصد حركتها. ولكنها لا تستطيع..

رائد فضاء آخر اتصل بمحطات المتابعة الأرضية يقول: ما هذا؟

● فيردون عليه: مالك!

- كرة بيضاء باهرة ورائى.. ماهذا؟

● لا نراها.

- حاولوا..

● لا نستطيع.. صفها لنا..

- كرة.. كأنها شمس صغيرة.. تقترب من السفينة.. ولا أستطيع أن أراها بوضوح لأن الضوء المنبعث منها باهر لدرجة أننى عندما وضعت منظارى الأسود أحسست كأن ضوءها قد اقتلع عينى!... إننى لم أعد قادرا على الرؤية..

● ولكننا لا نراها.. حدد موقعها..

- إنها فوق السفينة إلى الشرق بارتفاع ٣٨ درجة.. إنها الآن بارتفاع ٤٥ درجة.. إنها تحت السفينة.. إنها أمامى..

● صفها أكثر.. لا تضطرب.. لا تخف..

- إنها الآن ضوء هادىء مستدير.. ليس له إشعاع..

أميل إلى اللون الأصفر الأخضر.. إنه فى حجم السيارة الصغيرة..

● حاولى أن تلتقط لها صورة بسرعة..

وعندما حاول أن يلتقط لها صورة اختفت تماما!

رائد من رواد أبولو ١٧ اتصل بمحطات المتابعة الأرضية يقول: ورائى أجسام كثيرة لا معة.. تشبه الأسماك فى حوض من الزجاج.. لا أعرف ما هذا.. هل فى السفينة أى خلل..

● قالوا له: السفينة جيدة.. وكل أجهزتها تعمل بمنتهى الدقة.. حاول أن ترى أوضح..

- إن السفينة تشبه الحوت.. وهذه الأجسام تشبه القراميط التى تتابع الحوت.. إن عددها يفوق العشرين أو الثلاثين.. وكلها تعلو وتهبط وتقترب.. إنها الآن تحيط بالسفينة من كل الاتجاهات.. ولكنى لا أستطيع أن أحدد شكلها.. فهى لا معة نقط.. ولونها أقرب إلى الرمادى اللامع.. وليست لها محركات.. أو لعلها تدور حول نفسها بسرعة هائلة.. لا أعرف بالضبط.. حاولوا رصدها..

● ليس لدينا أثر على شاشة الرادار هنا.. إننا لا نعرف كيف نرصدها.. اطلب من زميلك أن يراها أيضا..

ويقترب الزميل ليراها وليكرر نفس الكلام..

ولكن شاشات الرادار فى محطات المتابعة الأرضية لا تسجل شيئا..

أما الذى يحدث على سطح القمر فهو شىء عجيب..

فكل سفن الفضاء التى دارت حول القمر رأت شيئا واحدا، على الجانب المظلم من القمر..

فعلى هذا الجانب وجدوا برقا هائلا. وحددوا مكانه. ولكن محطات المتابعة لم تعرف لذلك سببا. فلا يمكن أن يكون برقا، لأن البرق يجىء من الشحنات الكهربية الموجودة فى السحب حول الأرض.. والقمر ليست له سحب لأنه لا يوجد ماء أو بخار ماء..

ولكن ظاهرة البرق أو ظاهرة الضوء الباهر الهائل قد سجلها جميع رواد الفضاء، وفى أماكن متقاربة على الجانب المظلم من القمر.

أما أجهزة رصد الزلازل على سطح القمر، فلم تسجل أى اهتزاز من أى نوع..

وفى إحدى المرات قال أحد رواد الفضاء إن ظاهرة البرق هذه تشبه تماما «انفجارا ضوئيا» - إذا صح هذا التعبير.. فقد أضاء الجانب الآخر من القمر كله مرة واحدة ولوقت قصير.. وفى إحدى المرات تكرر هذا الضوء الباهر وبصورة أقوى وأعنف حتى إن رائد الفضاء ظل عاجزا عن الرؤية لبعض الوقت. وقد شكا ذلك لمحطات المتابعة الأرضية فنصحوه أن يضع بعض القطرة فى عينه لبعض الوقت.. ثم عاد فأعلن أنه ما يزال عاجزا عن الرؤية.. وطلب إليهم أن يتولوا هم قيادة السفينة.. واستدعاء زميله الذى يمشى على سطح القمر..

وهنا فى القاهرة جلست مع د. فاروق الباز ورواد سفينة أبولو - سيوز فى فندق مريديان. وسمعت من أحد الرواد أنه رأى شيئا عجيبا. فقد كان يقوم برحلة تجريبية بإحدى الطائرات وعلى ارتفاعات شاهقة وقرر الهبوط فى أحد المطارات العسكرية. فاتصل ببرج المراقبة. وقال إنه لا يستطيع أن يهبط بسهولة لأن إحدى الطائرات تلف حوله.. وأنها نوع من الطائرات لم يره قبل ذلك..

وسأل: هل يقوم أحد هنا بتجارب على سلاح سرى.

● فقالوا: لا..

قال: أرجو أن تتأكدوا من ذلك.. فهناك طائرة غريبة الشكل تطاردنى.. وتسبقنى.. وتعلو طائرتى وتعترضها.. ولا أعرف كيف أتصل بهذه الطائرة..

● فقالوا له: ولكننا لا نرى على شاشة الرادار شيئا من ذلك..

قال: تأكدوا.. إننى أراها الآن..

● قالوا: ليست لدينا أية معلومات..

قال: اسألوا

● قالوا: سألنا.. لا توجد أية تجارب من أى نوع فى هذه المنطقة، هل تستطيع أن تصفها لنا..

قال: طيارة بلا محركات نفاثة.. وبلا أجنحة وبلا ذيل.. إنها أسطوانية.. وتستطيع أن تعلو وتهبط

● لم تشرب كل الذى لا حظه رواد الفضاء فى رحلاتهم من الأرض والقمر، وحول الأرض وحول القمر وعلى القمر نفسه لقال الناس: إنها هلاوس من الساطيل والمخمنين. ولكن العلماء يؤكدون أن هذا صحيح!

هل يمكننا جعل البحر الاحمر بحيرة سلام عربية

نشأت التغلبى

بريجينسكى : الاستراتيجية الروسية الجديدة

● الحوار بين السفيرين العربيين كان يبدو من بعض جوانبه مثيرا، وفى الوقت ذاته حائرا.

قال الأول : يخيل إلى أن البحر الأحمر سيكون ميدان أزمة حادة !..

قال الثانى : فى يدنا أن نترك حبل الأزمة على غاربه وفى يدنا أن نلمه، ونضع حدا سريعا لكل شىء.

قال الأول : هل تتصور أن الأمور ستجرى بمثل هذه السهولة ؟.. لو حدث ذلك، فلن تكون الأزمة أزمة.

قال الثانى : الأزمة تكون إذا لم نتوصل إلى اتفاق، ولا تكون إذا ما توحد الصف !..

قال الأول : وهل وحدة الصف تكفى ؟..

قال الثانى : إنها المنطق..

قال الأول : وفى هذه الأثناء تكون التطورات قد سبقتنا !.

● واستمر الحوار حتى اتخذ أبعادا لا مجال لترددها علنا، إنما يمكن تلخيصها فى أنها كانت محاولة من تلك المحاولات الكثيرة التى تجرى الآن للتعرف على مايسمونه « قصة البحر الأحمر ».

●●●

قصة البحر الأحمر ليست جديدة، فهى قد بدأت عمليا فى الخمسينات على محورين :

● المحور الأول :

هو محور النزاع العربى الإسرائيلى.

● والمحور الثانى :

هو محور السابق على النفوذ، وعلى المواقع الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى :

فى المحور الأول، تبدو قناة السويس ذات أهمية ثانوية، فإسرائيل تريد خطوطها الملاحية فى البحر الأحمر مؤمنة وآمنة لتجد لها منفذا اقتصاديا سهلا وقصير المسافة إلى أفريقيا، وإلى أى مكان تستطيع الوصول إليه عن هذا الطريق. ومن جهة أخرى لتكفل الحصول على وقود الحياة، أى على الطاقة التى تحرك آلتها الحربية. وفى سبيل تحقيق هذين الهدفين أعلنت إسرائيل صراحة أنها مستعدة للإقدام على أية مغامرة !.

فى المحور الثانى، بدأت القصة مع وصول القوات البحرية السوفيتية إلى « الميناء الدائمة » وإلى مصر بالذات. فقناة السويس

وتترنح.. وتدور وتتشقلب بسرعة هائلة وبسهولة غريبة.. إن أراها بوضوح شديد.. وأنا لا أستطيع أن أتحكم فى طائرتى.. فكل المؤشرات التى أمامى قد ارتبكت.. والمؤشرات كلها تتذبذب والطائرة أيضا..

● قالوا : شىء غريب.. لا معلومات لدينا..

وبعد دقائق نزل رائد الفضاء الأمريكى ليروى القصة بالتفصيل لعدد من الخبراء.. وهم عاجزون عن تصديقه.. ولكنهم فى نفس الوقت يستبعدون أن يكون هذا من خياله.. وخصوصا بعد أن لاحظوا أن المؤشرات ما تزال تتحرك بينما وشمالا رغم أن الطائرة قد استقرت على الأرض وأن جميع التوصيلات الكهربية والألكترونية قد فصلت تماما.. بل إنهم لاحظوا وجود بقعة غريبة على جسم الطائرة من الخارج ؟!

●●●

قلت للدكتور فاروق الباز : أنا أصدرت كتابين هما : الذين هبطوا من السماء.. ثم.. الذين عادوا إلى السماء.. والكتابان متكاملان ويرويان قصة واحدة، ذهابا إلى السماء وإيابا منها.. عن كائنات غريبة عنا، جاءت من كواكب أخرى إلى الأرض، وتركت آثارها المؤكدة، وعادت لأسباب لا نعرفها.. تماما كما جاءت لأسباب لا نعرفها.. وقال الناس : إننى مسرف فى الخيال..

وكان رد فاروق الباز : ليس هذا خيالاً. وإنما العلماء حائرون أمام ظواهر كثيرة عجيبة. ولكن لا خلاف بينهم على شىء واحد : أن هناك حياة من نوع غريب عنا فى أماكن أخرى من الكون. وأن هذه الحياة لها أسلوب مختلف عنا. ولذلك فلها قواعد ونظريات لا نعرفها.. ونحن نحاول بكل الوسائل المختلفة أن نعرفها. ومن أجل معرفتها رصدت أمريكا ألوف الملايين.. وما تزال فى أول طريق طويل عريض مجهول عرضه السماوات والأراضى أى كل الكواكب التى تشبه الأرض ! فهل استرحت إلى هذه الإجابة.

قلت : لم أسترح. وإلا ما ألفت كتابين وأستعد لكتاب ثالث.. وقد عدت من أمريكا وأوروبا ومعى عشرات من الكتب العجيبة عن مغامرات العقل وهو يحاول أن يفك عقد هذه الألغاز.. وهى متعة أن تقرأها وأن تحاول فهمها ثم أن تكتبها إلى الناس وتفتح شهية العقل على آخرها.. فالحياة مملة. والملل له علاج واحد : الفكر الجديد والخيال المنطلق والأمل فى مزيد من المتعة التى تنعش الفكر، وتجعل للدنيا طعما آخر.. وتنقلك إلى الغد أسرع مما تنقلك إليه الشمس وهى تتحرك ببطئ من الشرق الى الغروب إلى الشرق..

ولم ينقذنى من هذه النشوة العقلية عندما أجلس مع فاروق الباز إلا ضحكته الطفولية المجلجلة التى تجعل وجهه يشرق وجسمه يهتز وعينيه تلمعان.. وكأنه يسخر من الذى نقول.. أو كأنه واحد من سكان الكواكب الأخرى قد هبط فجأة إلى مكتبى وراح يضحك على عبث الأطفال الذى نسميه سفن فضاء وعلى صغار اللاعبين الذين نسميهم علماء فضاء.. حتى لو كانوا : فاروق الباز !

أنيس منصور

المصرية هى أقصر طريق إلى المحيط الهندى وإلى مياه الشرق الأقصى. والوجود السوفيتى فى تلك المناطق ضرورة استراتيجية لمواجهة التحركات الأمريكية ولإحتواء التوسع «الأمبريالى» وعندنا أغلقت قناة السويس فى سنة ١٩٥٦، ثم فى سنة ١٩٦٧، تعب الروس كثيرا، خلافا للأمريكيين الذين يعتبرون رأس الرجاء عقدة أساسية من عقد مواصلاتهم البحرية، لذا كان الاتحاد السوفيتى حريصا أولا على البقاء فى مصر.. وحريصا ثانيا على بقاء مياه قناة السويس سالكة ويقدر على استخدامها فى إطار وجوده العسكرى فى مصر، وحريصا ثالثا على فتح مسالك بحرية جديدة ترتكز إلى قواعد تموين ومساندة فى مياه غربى أفريقيا.

لما فقد الاتحاد السوفيتى نقاط ارتكازه فى مصر، استبدل بها نقاط ارتكاز فى ليبيا، لكنه لم يكن مقتنعا بأهمية النقاط الجديدة إلا من حيث إنها نقاط ضاغطة على مصر. ولأن هذه النقاط لاتخدم استراتيجية الروس إلا فى الحوض المتوسط، فقد وجه اهتمامه إلى أفريقيا واستطاع أن يجد لنفسه موطىء قدم فى «أنجولا» على أساس أن «أنجولا» من جهة، وليبيا من جهة أخرى يمكن أن تكونا منطلقا لزحف ذى مضمون عقيدى وإن كان ظاهره الدعم والمساعدة، وصولا إلى السودان.. فمصر مرة أخرى!.

والذى لم يجهله أحد، وظهر أخيرا كثير من تفاصيله، أن الاتحاد السوفيتى، رهو يظهر الود والصداقة لعبد الناصر كان يسعى إلى قلب نظام حكمه وإلى الاستيلاء على السلطة لتكون السلطة مدخلا مضمونا له إلى البحر الأحمر، وبداية خطة تستهدف فى الدرجة الأولى وضع اليد على منابع النفط فى شبه الجزيرة العربية وكان بديهيا أن مثل هذه الخطة لا يقدر لها النجاح، إلا إذا بقيت مصر ضعيفة عسكريا، ومترنحة اقتصاديا، وغير قادرة بالتالى على حسم النزاع العربى الإسرائيلى.

لكن الرياح العربية جرت بما لا تشتهى السفن السوفيتية فقد الاتحاد السوفيتى، نتيجة لسياسة تعذر عليه تمويهها، مصر وقواعده فى مصر، وبات عليه أن يضع خطة جديدة تحقق له حلمه القديم فى إيجاد منفذ على البحر الأحمر..

● والخطة الجديدة ذات شقين:

الشق الأول:

نقاط الارتكاز العقيدية فى الجنوب الغربى من أفريقيا.

● والشق الثانى: التنكر للثورات التحريرية التى يدعمها العرب، والاعتماد على سلطات جديدة معادية للقومية العربية، وليست لها مبادىء واضحة.

وقد أتيحت هذه الفرصة للروس فى أثيوبيا، عندما وجد الانقلابيون أنفسهم معزولين عن الشعب، فلم يبق أمامهم سوى أن يدعوا اليسارية والاشتراكية، ويتعلقوا بأذيال الاتحاد السوفيتى!

هنا وجد الروس أنفسهم فى حالة مشحونة بالتناقض. رجدوا أن عليهم أن يتخلوا عن الصومال، وعن ثورة التحرير الأريترية، لأن البلدين غير مضمونين، سوفيتيا، على المدى البعيد، ولأن انفصال أريتريا عن أثيوبيا، واستقلال أقليم عفار وعيسى (جيبوتى) يحرم أثيوبيا من منافذها الأساسية على البحر الأحمر. ولأن الاتحاد السوفيتى يريد الوصول إلى البحر الأحمر بأى ثمن. فقد اشترط على أريتريا والصومال، إذا ماشاءتا ضمان مساعداته، أن يتوصلا إلى صيغة وفاق مع أثيوبيا، أى بتعبيرآخر، أن يظل لأثيوبيا امتدادها الاستراتيجى على البحر الأحمر، وأن تكون فى الوقت ذاته منطلق اضطراب وبلبلة واستنزاف فى اتجاه السودان، ومن ورائها مصر

الغريب فى هذا المجال، أنه فى حين وجد الروس من النظام الصومالى ذى النزعة اليسارية، ومن الثورة الأريترية التى تحتاج إلى الأسلحة السوفيتية معارضة لخطتهم، ورفضا لشروطهم، وجد فى ليبيا ذات النظام الإسلامى استجابة لهذه الخطة، فباتت ليبيا قاعدة التموين الأساسية لكل ثورة معادية سواء لمصر، أو السودان، أو لأية دولة عربية أخرى!.

بل لقد ذهب العقيد القذافى إلى حد استدعاء سفراء دول شبه الجزيرة العربية ليقول لهم إنه يعتبر مساعدة مصر على تجاوز أزمتها الاقتصادية عملا عدائيا موجها إلى ليبيا!

أكثر من هذا..

التقت ليبيا وإسرائيل على هدف واحد فى أثيوبيا!.

فإسرائيل التى كانت المستفيد الوحيد من الصداقة الأمريكية الأثيوبية فى عهد الإمبراطور هيلاسلاسى، يقيت المستفيد الأساسى فى ظل الصداقة الروسية الأثيوبية الليبية، لأنها أحتفظت بالجزر الأثيوبية التى كانت تحتلها فى البحر الأحمر على مشارف باب المندب، وبقى لها خبراؤها العسكريون يديرونها فى القوات الأثيوبية التى تتلقى الآن أسلحة سوفيتية عن طريق ليبيا!.

إذن الاتحاد السوفيتى يسعى فى الوقت الحاضر إلى إنشاء حزام شيوعى حول مصر والسودان يبدأ من «أنجولا» فى الجنوب الغربى من القارة الأفريقية وينتهى فى أثيوبيا فى شرق القارة مرورا بالدول الأفريقية المستفيدة من المساعدات الروسية، وهى مساعدات لا تستهدف التحرير بقدر ما تستهدف النفوذ!.

● قاعدة التموين الرئيسية لهذا الحزام، هى ليبيا فهى بحكم «نظريتها الثالثة» قد تطورت فى المخطط السوفيتى، عن إدراك أو عن جهل لأبعاده الحقيقية. والخطأ خطير فى الحالتين، وأبعد ما يكون عن سيرة القومية العربية.

بالنسبة إلى إسرائيل.. التى يهمنا فى هذا الموضوع كله هو أن تضمن خطوط مواصلاتها ونقاط ارتكازها فى البحر الأحمر، أى أن تضمن لميناء «أيلات» مجاله الحيوى.

● ● ما هو الفعل العربى على ما يجرى؟..

النظرة الموضوعية إلى التطورات الجديدة، توضح لنا أمرين أساسيين:

الأول:

أن التخطيط السوفيتى لمرافئه الاستراتيجية فى أفريقيا لا ينفصل عن تخطيطه للحصول على موانع مساندة فى البحر الأحمر.

الثانى:

أن اللام أو الحرب بالنسبة إلى إسرائيل يعنيان الحفاظ أيضا على شرايينها الحيوية فى البحر الأحمر.

من هنا، لا نستطيع القول بأن فى وسعنا أن نجعل من البحر الأحمر «بحيرة سلام عربية» إلا إذا توافرت لنا شروط عديدة أهمها: القوة العسكرية، ووحدة العمل العربى.

من ناحية القوة العسكرية، فإن القوة الوحيدة العربية التى يمكن أن يكون لها دور فعال فى البحر الأحمر هى القوة المصرية. على هذا الأساس، كانت المناورات البحرية التى أجرتها مصر مؤخرا فى مياه البحر ذات طابع بالغ الأهمية، ليس على مستوى الوطن العربى فحسب، بل أيضا على مستوى صراع القوى المختلفة فى المنطقة.

لكن مصر، ليست الدولة العربية الوحيدة المطلة على البحر الأحمر، هناك أيضا الصومال والسودان، وأريتريا، والمملكة العربية السعودية واليمن الشمالية، وهناك اليمن الشعبية الديمقراطية على المدخل الجنوبى لهذا البحر.

وحينما ندعو إلى مؤتمر قمة لهذه الدول لابد أن نضمن لهذا المؤتمر خطة عمل واضحة ومتفقا عليها، وليس الحد الأدنى من التفاهم.

فمشكلة البحر الأحمر بدأت تتجاوز بخطورتها كل الحلول المتوسطة والمعتدلة، وخاصة الحلول المرحلة. أو الحلول التى تعتمد على اتفاقات مظهرية خالية من مضمون حقيقى!

أى أن مشكلة البحر الأحمر، ترتكز الآن على حل عربى شامل يتضمن التضامن الفعلى، كما يتضمن القوة العسكرية القادرة على مواجهة مختلف الاحتمالات.

فى الماضى القريب، كنا نعتبر إسرائيل واجهة هذه المشكلة، وكان التفاهم على احتواء مخططاتها ممكنا نظريا، وأن ظل حتى الآن متعذرا عمليا.

الآن، انضمت الأنظمة المتعاملة مع الاتحاد السوفيتى إلى واجهة المشكلة، فأضيف إلى الجانب البحرى فى هذه المشكلة الجانب البرى.

صحيح أن الدول المعنية فى الجانب البحرى، هى نفسها الدول المعنية فى الجانب البرى، لكن الصحيح أيضا، أن ما يعنى الدول العربية المطلة على البحر الأحمر يعنى فى الوقت ذاته، بشكل أو بآخر، الدول البعيدة عنه. ذلك أنه إذا كان الهدف المباشر من التغلغل السوفيتى هو مصر والسودان، فإن هذا الهدف هو مرحلة من مراحل الخطة السوفيتية، أما المراحل التالية فتشمل دون ريب منابع النفط، وبسط النفوذ على الشرق الأوسط كله.

طبعا، وصول الاتحاد السوفيتى إلى منابع النفط يعتبر أمرا مستحيلا فى ظل التوازن الدولى، وإلا أدى ذلك إلى حرب عالمية نووية.. لكن لو علمنا أن الاتحاد السوفيتى كان يخطط للوصول إلى منابع النفط من خلال أنظمة مؤيدة له. فإننا ندرك أهمية الائتلاف العربى على استراتيجية موحدة بصرف النظر عن تناقضات الأنظمة، وهذه هى أصعب نقطة فى الموضوع.

ولكن أكثر وضوحا..

هل يستطيع النظام فى اليمن الشمالية أن يتفق على استراتيجية موحدة مع النظام فى اليمن الجنوبية؟.. وهل تستطيع الصومال أن تتفق على استراتيجية موحدة مع السودان ومصر؟.. وهل تستطيع الثورة الأريترية تجاوز انقساماتها الداخلية، وإقامة جبهة موحدة، تنهى تحرير ما تبقى لها من أرض، فتقيم من ثم نظاما قادرا على العمل مع الأنظمة العربية الأخرى فى نطاق استراتيجية موحدة أيضا.

هذه الزاوية من المشكلة هى فى رأى المراقبين أهم الزوايا المطروحة للبحث.

الذى لا شك فيه، هو أن الاتفاق على استراتيجية موحدة بين مصر والسودان والمملكة العربية السعودية أمر مفروغ منه. ومصر بما تملك من إمكانيات بشرية وعسكرية، والسعودية بما تملك من إمكانيات مادية، والسودان بما يستطيع أن يملك من إمكانيات عسكرية، تستطيع أن تشكل خطا استراتيجيا بريا ذا أهمية كبرى.

الاتحاد السوفيتى يجتهد منجسترلكسر السيطرة العربية على البحر الأحمر

أما بالنسبة إلى البحر الأحمر، فإن الثغرات الموجودة فى هذا الخط عديدة. فمن ناحية هناك الأنظمة التى تعتمد بشكل أو بآخر على الاتحاد السوفيتى. ومن ناحية أخرى هناك إسرائيل.

الأنظمة التى تعتمد على الاتحاد السوفيتى لا تملك بالطبع حرية الحركة. فهى فى وضع أضعف بكثير من وضع مصر سنة ١٩٦٧. أولا، لأن ما تتلقى من أسلحة محدود جدا، ولا يفيد فى أى نزاع يحتاج إلى قوى ضاربة كبيرة. وثانيا، لأن ارتباطها بالاتحاد السوفيتى عقيديا، أو على الأقل تعاطفا مع العقيدة اليسارية، يفقدها أيضا جانبا بالغ الأهمية من الإرادة الحرة.

يضاف إلى هذا، أن الحزام الذى يسعى الاتحاد السوفيتى إلى إقامته على امتداد القارة الأفريقية من الغرب إلى الشرق، لا يقتصر على القوى المساة ثورية وتقدمية، إنما يشتمل أيضا على الاتجاه العقيدى، أى أن جزءا كبيرا من حركات التحرر الأفريقية بدأت تفقد حريتها فى الحركة، وإرادتها الحرة، نتيجة لارتباطاتها العقيدية.

أما القوى التى يواجهها الغرب فهى سواء أكانت سوفيتية أم اسرائيلية، قوى موحدة تملك استراتيجية محددة وقدرات عسكرية لا شعرات فيها واردة حرة تنبع من عقيدة موحدة أيضا.

الاتحاد السوفيتى ينفذ استراتيجيته من خلال أنظمة مؤمنة بما يؤمن به أو من خلال أنظمة تخشى غضبه أو من خلال أنظمة تعتقد عن خطأ أن مصالحها تتلاقى مع مصالحه.

اسرائيل تنفذ استراتيجيتها التابعة من ارادتها ومن مصالحها وتستفيد من الاستراتيجية الأمريكية بقدر ما تستفيد من الاستراتيجية الروسية

أما بالنسبة إلى الدول العربية المطلة على البحر الأحمر فهل تستطيع الوصول إلى هذا المستوى من الإرادة الحرة، والحرص المطلق على المصلحة العربية دون أية مصلحة أخرى؟..

بل السؤال هو:

لماذا لا تستطيع ذلك هذه الدول، ما دامت تعى أن مصلحتها قوميا ووجودا لا تتجزأ؟..

مثل بسيط:

لو أدت ظروف الصراع العربى الإسرائيلى إلى إغلاق باب المندب، فمن الذى يتحمل مسئولية هذا الإغلاق؟.. هل هى مصر باعتبارها القوة العربية الوحيدة القادرة فى المنطقة، رغم بعدها عن المضيق أو هى الدولة المشرفة على المضيق؟، وهل فى وسع الدولة المشرفة على المضيق بوضعها الحالى تحمل مسئولية الإغلاق، أو أنها بحاجة إلى مساندة عربية؟..

الإجابة على هذه الأسئلة ليست عسيرة إنما المهم أن تأتى من ضمير مدرك لطبيعة المصلحة العربية، أى مدرك أن المصلحة فى أوضاع عالمنا الآن ليست مصلحة ذاتية ولا هى مصلحة إقليمية، ولا يمكن أن تكون إلا مصلحة موحدة شاملة الوطن العربى كله، كما أن مصلحة إسرائيل موحدة وكما أن كل مصلحة من مصالح القوى الأخرى موحدة.

إنطلاقا من هذه الحقيقة نستطيع أن نجعل من البحر الأحمر بحيرة سلام عربية، أما إذا فضلنا العقائد المستوردة على المصير العربى ككل، فإن مصيرنا الواحد سيتحول إلى مصائر متعددة، كل منها عاجز عن مواجهة الاستراتيجيات التى ترسم للمنطقة.

لذا، لابد من أن نتساءل: ماذا يستطيع مؤتمر قمة للدول العربية المطلة على البحر الأحمر أن يفعل إذا لم يتم الاتفاق أولا على المبادىء الأساسية التى تؤدى إلى رؤية سليمة وصحيحة لما يجرى حولنا؟..

وهل مؤتمر الدول المطلة على البحر الأحمر، يمكن أن يتخذ قرارا حاسما فى معزل عن الدول الأخرى، وفى مقدمتها دول المواجهة والدول المعنية بالمخططين السوفيتى والإسرائيلى على المدى البعيد؟ وفى هذا الإطار بالذات، هل تكون الاستراتيجية المطلوب وضعها والالتزام بها، هى استراتيجية إقليمية تعنى دول البحر الأحمر فقط، أم هى استراتيجية قومية تعنى الدول العربية كلها، دون اعتبار للأقلية الناشز التى لولا اختلاف العقائد فى الوطن العربى، لما توافر لها أى مجال للعمل، أو للشذوذ عن الإيمان بوحدة المصير؟

إن ما يجب أن نقرره فى نطاق هذه الحقائق، هو أن التطلعات الذاتية لا تصدر عادة إلا عن قصور عقلى. فليس ثمة حاجة إلى ذكاء حاد لتتبين أين هى المصلحة العربية واقعا وإيمانا وعملا، ومع ذلك نجد من يقبل أن يجعل من نفسه أداة لخدمة أهداف استعمارية سواء أكان اليمين أم اليسار مصدر هذه الأهداف. وفى الوقت ذاته نجد أن إسرائيل، أفادت من اليمين كما أفادت من اليسار لخدمة مصالحها الخاصة، فأقامت وجودها بالرغم من المائة والخمسين مليون عربى الذين يحيطون بها.

أليس هذا الواقع وحده يكفى لكى يهدينا إلى الطريق الواجب علينا اتباعها؟

إن مؤتمرات القمة العربية أمر مطلوب. لكن الأمر المطلوب أكثر، وبالحاح أشد، هو الأساس الصالح لجعل هذه المؤتمرات فعالة، وقادرة على تنفيذ ما تتخذ من قرارات.

يومها توافر القدرة لنا، لا لنجعل من البحر الأحمر بحيرة سلام عربية فحسب، وإنما لتحرر الأرض العربية أيضا، ولتجعل من الوطن العربى كله أرض سلام وازدهار.

ولعلنا نبدأ بهذه الرؤية، فنملك إرادتنا المستقلة الحرة بكل ما فى تعبير الاستقلال والحرية من معنى، ونبعدها تبحث عن العقائد التى تلائم مسيرة تطورنا ●

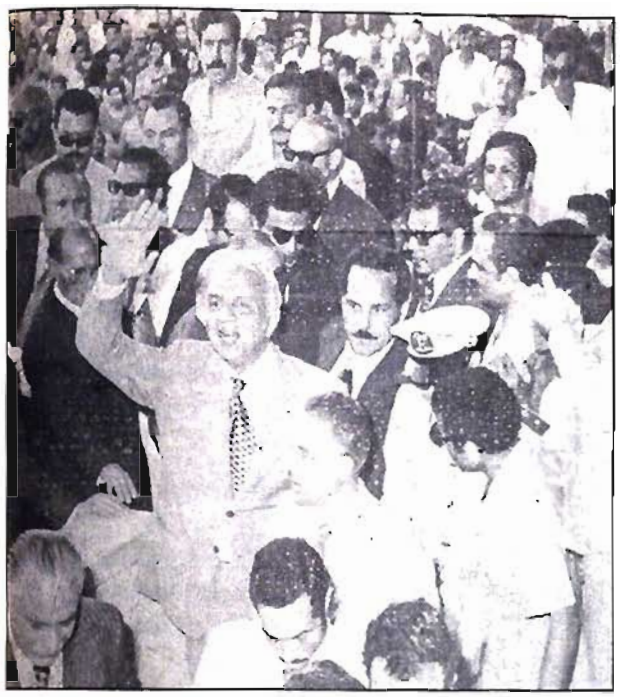

● فى كل محافظة يزورها ممدوح سالم كان يذوب بين الجماهير المتلاطمة التى تهتف بحب الرئيس السادات وولائها لخوض معركة مصر

رئيس الوزراء

بدأ ممدوح سالم رئيس الوزراء ورئيس حزب مصر العربى الاشتراكى جولة واسعة يزور خلالها جميع محافظات الجمهورية. إن وراء هذه الجولة أكثر من دافع لتحقيق أكثر من نتيجة على المستوى الحزبى والحكومى من أجل مستقبل أفضل لجماهير شعبنا الكادح..

● أول الدوافع يتحدد فى التعرف على المشاكل على الطبيعة. من خلال مسح ميدانى واسع حتى يمكن الوقوف على احتياجات مختلف الأقاليم من المشروعات الخدمية والإنتاجية ومدى ما يها من إمكانيات تسمح باستغلالها لدفع عجلة خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى الأمام. تمشيا مع ما يلتقى به رئيس الوزراء من ضرورة انتشار المشروعات الاقتصادية وتنمية الريف المصرى اجتماعيا.. وحتى تكون حصيلة المعلومات التى يقف عليها على الطبيعة أمام المخططين وموضع اعتبارهم..

●●●

● وتهدف الجولة أيضا إلى الدخول فى حوار مباشر بين قمة السلطة التنفيذية وجماهير الشعب دون الاعتماد على ما تتضمنه التوصيات والمذكرات والدراسات فمن خلال هذه المناقشات تبرز وجهات النظر والآراء الجديدة الجديرة بأن تحتل مكانها فى اهتمامات المسئولين واتفاقا على مايقوله ممدوح سالم من أن مشاكلنا العصرية المعقدة فى حاجة إلى تبادل الآراء وطرح الحلول البديلة التى يجب أن يكون لها القاعدة الشعبية فيها الدور الأكبر.

● كما تهدف الجولة إلى التابعة الميدانية على أعلى مستوى لمختلف المشروعات التى يتم تنفيذها والواردة فى الخطة. والتى التزمت الحكومة أمام مجلس الشعب والجماهير بإتمامها فى توقيتات زمنية محددة. وكذلك وضع أحجار الأساس للمشروعات التى استكملت دراساتها رغم تدبير المبالغ اللازمة لها..

● وينحصر الدافع الرابع فى تقييم مدى نجاح تجربة الحكم المحلى والمجالس المحلية فى المحافظات خاصة بعد قرار الرئيس السادات بضرورة تدعيمها وتفويض السلطات الكاملة وإعضاء المحافظات من الرجوع للسلطة المركزية فى كل صغيرة وكبيرة حتى تتاح لها حرية الحركة والقدرة على